شعاع أمل

فى ١٢ من يوليه عام ١٨١٢ رحل « بيتهوفن » تبعا لمشورة طبيبه « مالفاتى » عم حبيبته « تريزا » إلى مدينه « تيبلتس » إحدى حمامات مقاطعة بوهيميا وهى مدينة استشفاء يقصد إليها المرضى من مختلف البلدان للعلاج أو للتعرف إلى شخصيات ممتازة ، فلقد كانت هذه المدينة قبلة أرهاط الأرستقراطيين ، وملتقى علية القوم من الملوك والأمراء والأشراف ، ورجال السياسة ، والشعراء ، والفنانين .

قصد « بيتهوفن » إلى هذه المدينة لعله يجد فيها علاجا لصحته وتخفيفا لآلام سمعه .

وفى هذه المدينة تعرف إلى طائفة ممتازة من الكتاب ، والشعراء ، والفنانين ، كما تعرف فيها إلى الشاعر الفذ « جيتا » وطالما تاقت نفسهما لهذا اللقاء .

سمع « جيتا » عزف « بيتهوفن » فسحره نغمه ، واستولى عليه فنه ، حتى قال فيه : « لقد علمت الآن فقط ما يمكن أن تؤديه آلة البيانو » .

غير أن ضعف سمع بيتهوفن — للأسف — قد حال دون تمكنهما من تبادل الآراء على النحو الذى كانا يرغبان فيه . وظهر من اختلاف وجهة نظرهما فى الحياة ما سبب عدم تفاهمهما ، وحال بين توثيق الروابط بينهما . فقد كان « جيتا » شديد الرغبة فى التقرب إلى الأمراء والأشراف ، يتملقهم

ويطريهم ، وكان « بيتهوفن » على نقيضه ، يرى الناس جميعهم سواء . لهذا خاب ظن « بيتهوفن » فى « جيتا » حتى قال فيه :

« كنت أعتقد أن « جيتا » أمير الشعراء ، فألفيته شاعر الأمراء » .

وروت « بتينا » عن « بيتهوفن » فى هذا الصدد أنه كان يقول لها :

« إن الملوك والأمراء يستطيعون أن يمنحوا الناس رتبا ، وألقابا ، وأوسمة يحملونها ولكنهم يعجزون عن صنع عظماء الرجال ، وخلق العبقريات الفذة التى تسمو بتفكير العالم . ومادام خلق هؤلاء العباقرة موضع عجزهم فيجب أن يكونوا موضع تجلتهم ، واحترامهم ، فإذا تصادف التقاء هؤلاء الأمراء والأشراف ، باثنين من أولئك العباقرة — مثل « جيتا » ومثلى معا — وجب عليهم أن يلحظوا ذلك ، وأن يوفونا قسطنا من التجلة والاحترام

وتستمر « بتينا » فى روايتها هذه فتقول :

« وكان ذلك الحديث لمناسبة ماوقع من أن « جيتا » و « بيتهوفن » كانا يسيرن معاً فى نزهة متأبطين ، وإذا بهما يلتقيان فى طريقهما بالقيصرة تحوطها طائفة من الأمراء والأشراف قادمين عليهما ، فقال « بيتهوفن » لنستمر كما نحن متأبطين وعليهم أن يفسحوا لنا طريقا ، لا أن نفسحه نحن لهم . وكان « جيتا » يرى غير هذا الرأى ، فسحب ذراعه من ذراع « بيتهوفن » وانتحى بنفسه ناحية ، ثم وقف وقد رفع قبعته احتراما . أما « بيتهوفن » فقد استمر فى طريقه ، مخترقا صفوفهم وقد حرك قبعته قليلا علامة التحية ، فأفسحوا له الطريق من الجانبين ، وحيوه أحسن تحية . ولما تركهم تلفت خلفه يبحث عن « جيتا » وإذا به يراه وقد انحنى انحناء

شديدا تحية للقيصرة و بطانتها عند مرورهم به ، فانتظره « بيتهوفن » إلى أن وافاه ، فبادره بقوله :

« إنى أنتظرك أنت لأننى أجلك ، وأحترمك . وهو ما تستحقه ، أما هؤلاء فقد منحتهم من التجلة والاحترام أكثر مما يستحقون » .

وهكذا كان « بيتهوفن » ديمقراطيا فى تفكيره وفى حياته ، بينما كان « جيتا » أرستقراطياً ، يميل إلى الوجاهة وحب الفخفخة ، والتقرب إلى الملوك ، والأمراء ، وذلك ماسما به إلى رتبة الوزير ، بينما ظل زميله « بيتهوفن » فقيرا ، معدما طوال حياته .

وكانت هذه المقابلة هى الأولى والأخيرة بين هاتين الشخصيتين ، الكبيرتين ، وانقطعت على أثرها بينهما أسباب المودة والتراسل . وإن كان ذلك لم يمنع من استمرار « بيتهوفن » فى الإعجاب بشعر « جيتا » واطراد هذا الإعجاب كلما تعمق فيه . وكان سباقا إلى مطالعة كل ما ينتجه « جيتا » من الشعر .

أما « جيتا » فلم يعط نتاج صاحبه كل هذا التقدير متأثراً فى ذلك بشخصية « بيتهوفن » التى رأى فيها خروجا عن المألوف ، وشذوذا عن التقاليد

☆☆☆

كانت أولى أعماله الكبيرة الفنية بعد ذلك هى قطعته الآلية الخالدة « سنفونى لا الكبير » وهى السنفونى السابعة .

هى استعراض موسيقى لمهرجان من الفرسان ، وتصوير لحياة شعب حربى نشأ فى أحضان تربة خصبة ، رائعة المناظر ، أضفت عليه الهناءة

والسعادة ، مناخها جميل ، ونسيمها عليل . وإذا بالنسيم ينقلب إلى ريح تشتد شيئاً فشيئاً ، والمناخ الجميل يتحول تدريجياً إلى لهب ينتهى باشتعال الحرب .

هنا ترتفع نغمات حزينة تشبه صوت الحداد ، ولكنها ليست حداداً ، إنما هى عرض لأشباح مستورة كأنها أشباح الأسرى . فلما تختفى تلك الأصوات الرهيبة ترتفع أصوات البهجة والفرح ، وتسود نغمات الرقص

وإذا الختام كأنما يعبر عن بطل الحرب المنتصر ، وقد جاء فى ركبه يستعرض الأسرى . ينتهى شبح الحرب ، ويظهر طيف السلام وتخفت تدريجا أصوات آلات النفير ، وتصدح آلات النفخ الأخرى اللينة وآلات الكمان تعبيراً عن لحن السلام . ويعود الشعب الوديع إلى هناءته وسعادته الأولى

كانت هذه أسمى ماوصلت اليه عبقرية « بيتهوفن » حتى الآن من نتاج فنى . ولكن هل قدّره الناس ؟

عزفت هذه السنفونى المرة الأولى ، وإذا بالنقد يقول :

« الآن قد بلغ المعجبون بهذه العبقرية الدرجة القصوى فقد أصبح « بيتهوفن » أهلا لمستشفى المجاذيب » .

وليت هذا الجحود كان مقصوراً على طوائف الجماهير أو جماعة المعارضين والمنافسين ، إنما العجيب أن يكون ذلك رأى الموسيقار الكبير « كارل ماريا فون ويبر » ملحن الأوبرا الخالدة « فرايشوتس » إذ وصف فى كتاباته هذا النتاج بأنه نتاج مضحك .

وبعد ظهور «السنفونى السابعة» بعام ظهرت «السنفونى الثامنة» وقد

أتمها فى مدينة « لنز » عند شقيقه الصيدلى « يوهان » . وهى قطعة مرحة مطربة تتجلى فيها روح الفكاهة والدعابة .

ضاقت حالة « بيتهوفن » المالية واطرد سيرها من سيء إلى أسوأ واشتدت أزمته فبلغت حدا محزنا حقا فقد كاد يصبح معدما لا يجد ما يسد حاجته برغم بساطة عيشته فى الحياة و بعده عن الترف الذى يعيش فيه غيره.

وتزايد ثقل حاسة سمعه فصار لا يسمع إلا إذا صوّت المرء ، وكان إلى جانبه ، صوتاً مرتفعاً مما جعله يميل إلى العزلة والبعد عن الناس ، يعيش لنفسه ، وقد تغيرت نظرته فى الحياة فأصبح يراها بعين غير الأعين التى يراها الناس بها .

وكان فى رحلته إلى « تيبلتس » ماقضى على البقية الباقية من ماله ولم يستفد ماديا بقطعتيه الأخيرتين « السنفونيتين السابعة والثامنة » لأنهما لم تكسباه شيئاً يذكر . وشاء القدر أن يثقل كاهله بكارثة جديدة ، فأصيب شقيقه « كارل » بفقد ماله عند ما منيت النمسا بكارثتها المالية ، ثم مرض مرضاً استغرق سنين ، وأصبح لزاماً على « بيتهوفن » أن يتولى أمر شقيقه وأمر أسرته فكلفه ذلك مالا طائلا حتى أصبح لا يجد لديه لباساً سليما أو قميصاً جديداً .

رثت لحاله هذه زوج صانع البيانو « شترايشر » ، فاتخذت من نفسها وصياً عليه ، وتدخلت فى شئونه الخاصة ، وقامت على تنظيم بيته ، ونقلته ثانية إلى مسكن فى بيت « بسكوال » الذى كان خير مسكن يناسبه ، واختارت لخدمته حائكاً يستطيع أن يصلح ملابسه ، ويخيط المرقق منها

وأسعفته بالنصيحة لتنظيم دخله وكان « بيتهوفن » مطيعاً لإرشاداتها ، ونصائحها مادامت لا تتعارض مع طبيعته .

وفى هذا الوقت العصيب كتب « بيتهوفن » قطعة آلية خالدة للفرقة الموسيقية الكاملة هى « موقعة فتوريا » يصف فيها نصر « ولنجتون » فى ٢١ يونيه سنة ١٨١١ على الجنود الفرنسية .

وفى ديسمبر عزفت هذه المقطوعة هى والسنفونى السابعة مع غيرها من مقطوعات « بيتهوفن » فى صالة الجامعة . وكان الازدحام بالغاً حده إنما لم يكن الدخل للمؤلف بل كان إعانة للجنود النمساويين والبافاريين الذين جرحوا فى موقعة « هاناو » فى حربهم ضد الفرنسيين .

وقام « بيتهوفن » نفسه بقيادة الفرقة الموسيقية الكبيرة .

كانت قطعته الأخيرة قسمين :

القسم الأول ، وصف للموقعة من بدايتها . أصوات تسمع من بعيد ، ثم تقترب الطبول شيئاً فشيئاً ، ثم ترتفع موسيقى الجيش البريطانى فتعزف آلات النفخ نشيدها الوطنى « أحكمى يا بريطانيا » . ثم ترتفع أصوات الطبول معلنة قدوم الجيش الفرنسى . موسيقى وصفية رائعة ، تصف الجيش الانجليزى ، ثم الجيش الفرنسى كلا بما يناسبه . وتعلن آلات النفخ بدء القتال واشتباك الجنود ، فيسمع دوى المدافع ، وأصوات القنابل فى تعبير جلى واضح . ثم تسمع أصوات النشيد الفرنسى فى أصوات خافتة بعيدة . لقد خسر الفرنسيون الموقعة .

أما الجزء الثانى من هذه القطعة فهو احتفال بالنصر ، اختتم بالنشيد

القومى الانجليزى « ليحفظ الله الملك » .

وقد نشر « بيتهوفن » فى صحف « فينا » شكراً لجميع من اشترك فى الفرقة الموسيقية التى قامت بالعزف فى هذا الحفل .

كان حفلا موسيقياً رائعاً لم يستفد منه « بيتهوفن » شيئاً .

* * *

كان عام ١٨١٤ فبلغ « بيتهوفن » الرابعة والأربعين من عمره ودخل فيما اصطلح المؤرخون عليه من أنه « الحلقة الثالثة » من عمره وهى الأخيرة .

بدأت تلك الحلقة من حياته بظلمة حالكة ، فقد تزايد صممه حتى اضطر ألا يظهر أمام الجمهور عازفا بالبيانو إطلاقا ، ذلك بأن شعوره الروحى لم يكن كافيا لإحكام التوقيع فى العزف دون أن تسيطر عليه حاسة السمع ، فكان يعتمد على قوة الآلة فيقوى فى النبر بما يخل هذا التوقيع .

وفى ١١ ابريل اشترك فى إحدى صالات « فينا » مع صديقيه « شوبّا نزيغ » و« لنكا » فى عزف ثلاثية من مقطوعاته هى رقم ٩٧ من مجموع نتاجه فكانت هذه آخر مرة عزف فيها .

أما قيادة الفرقة فقد استمر يعالجها برغم ما كان يلقاه فى ذلك من صعوبة ، وكان له من مهارته ما عاونه على تذليل تلك الصعوبات ، وهو فى قيادته فى الفرقة يضفى على أفرادها من روحه ما ينقلهم إلى جو القطعة وروح موسيقاها ، فكان يعبر مثلا عن أشارة التنزل ؛ وهو اطراد خفوت الأصوات ، بأن يقلص جسمه ثم يهبط به تدريجياً حتى ليكاد يختفى تحت

المنضدة التى أمامه ، فإذا حانت إشارة التصعد ارتفع بجسمه شيئا فشيئا حتى ليقف على أطراف أصابعه .

تزايد الصمم عليه ، فزادت مشقته فى إدارة الفرقة حتى ليفترقا عن بعضهما أحيانا ، فلا يرده إلى ضبط الإيقاع وانتظام قيادة الفرقة إلا رؤيته لحركة أقواس الكمان ، وحركات مضارب الطبول .

وشاء الله أن يبعث من جديد إحدى مقطوعات « بيتهوفن » التى أنتجها منذ ثمان سنوات ، تلك هو أوبرا « ليونورا » فقد طلب إليه أن يعطيها مجاناً لحفلة خيرية ففعل بعد أن قام ببعض تعديلات فيها .

وفى ١٣ مايو ظهرت هذه الأوبرا من جديد باسم « فيديليو » واستعيدت فى ٢٣ مايو فكتب « بيتهوفن » لهذا الغرض المقدمة « الأفرتير » — مقام مى الكبير — التى تعزف حتى الآن فى استهلال تلك الأوبرا .

وكتب الله النجاح والخلود لتلك الأوبرا منذ هذا العرض فانتشرت فى جميع المسارح الألمانية ، وغزت الممالك الأخرى حتى ظهرت فى « لندن » و « باريس » .

وتسابقت المغنيات فى القيام بدور البطلة « ليونورا » هذا الدور الذى لا يزال يعتبر حتى اليوم موضع اختبار شديد لمقدرة المغنيات .

وفى أول أكتوبر من تلك السنة عقد فى فينا مؤتمر عام بعد أن نفى « نابليون » .

تنفست أوربا الصعداء من هول ما لاقت من الحروب وهى الآن تستقبل السلم . اجتمعت القياصرة ، والملوك والأمراء ، ورجال السياسة فى حشد لم ير العالم مثله يريدون لأوربا سلماً دائما ، ويقررون لمختلف الممالك

حدوداً جديدة . واجتمع بفينا فى هذا المؤتمر سبعمائة نائب ، وازدحمت تلك المدينة بالقادمين عليها بهذه المناسبة من مختلف الجهات حتى أربى عدد الأجانب فيها على مائة ألف زائر .

وأرادت « فينا » حكومة وشعبا و بلاطا ، أن تبالغ فى توفير أسباب الراحة والبهجة لهؤلاء الضيوف وطلبت بلدية « فينا » من الشاعر النمساوى « وايزنباخ » نظم أنشودة « ساعة النصر » عهدت فى تلحينها إلى « بيتهوفن » وتسابق العظماء والأشراف من ضيوف المدينة إلى مشاهدة هذا الفنان الخالد ، فكانوا يتنافسون فى حضور حفلاته التى كانت تقام عند أصدقائه من بلاء فينا ، كما كانوا يتسابقون فى تبجيله وتكريمه وقد خصته « إليصابات » قيصرة الروسيا بعظيم عطفها ، وشديد رعايتها .

لم ينل « بيتهوفن » فى هذا المؤتمر تقديراً أدبيا سرّى عن نفسه البائسة فحسب ، بل تلقى فيه من قيم الهدايا ما انتشله من وهدة الدين حتى استطاع توفير ١٠٠٠ جولدن (حوالى ٨٥ جنيها) .

وهكذا أرسل عام ١٨١٤ فى حياة بيتهوفن المظلمة شعاعا من الأمل و بعث فى نفسه بارقة من السعادة .

ولا ريب فى أنه من سخريات الفكر البشرى أن يجىء تقدير بيتهوفن عن طريق مؤلفاته العارضة التى هى أقل نتاجه فنا مثل « موقعة فتوريا » و «ساعة النصر» فيعرفه الشعب و يذيع اسمه ، وتعجز عن ذلك مقطوعاته الخالدة كسنفونى البطولة (Erqica) والسنفونيتين الخامسة والسادسة أو رباعياته الخالدة أو مقطوعاته الكونسرت للبيانو الرائعة .

قمة المجد

أحبت الموسيقى ابنها « بيتهوفن » فأغدقت عليه ، فى سخاء منقطع النظير روائع فنها ، وبدائع آياتها ، بينما كان شقيقه الأصغر « يوهان » يرى العظمة فى جمع المال والعزة فى كنزه والحرص عليه ، فصرف جهده فى ذلك ، حتى استطاع أن يستبدل بصيدليته فى مدينة « لنز » عزبة قريبة من « فينا » .

كان « يوهان » فخورا جد الفخر بما بلغه من ثراء ، مزهواً غاية الزهو بامتلاكه تلك العزبة ، حتى لقد أسرع إلى زيارة شقيقه « لودفيج » بفينا ، وترك له بطاقة مكتوب فيها :

يوهان فان بيتهوفن
صاحب أملاك

فرد عليه شقيقه ببطاقة أخرى مكتوب فيها :

لودفيج فان بيتهوفن
صاحب مخ

لم يكن « يوهان » ولا « كارل » شقيقه يدركان عظمة شقيقهما الموسيقار ، أو يقدران نبوغه فى فنه ، بل كانا يريانه غير صالح إلا للموسيقى التى يضيع فيها جميع وقته ، فكان التفاهم بينهم غير منسجم

فيسيآن إليه ، و يثيران عواطفه فى أمور غير سنية يجهل التصرف فيهـا جهلا مطلقا .

وفى نوفمبر سنة ١٨١٥ مات شقيقه « كارل » مصـدوراً (بمرض صدرى) وترك له ابنا كان وقتئذ فى الثامنة من عمره ، وكان نجيبا صبوح الوجه ، وقد شاء الوالد أن يكل أمر الولد إلى عمه بعد وفاته فأثبت ذلك فى وصيته .

إذن فقد تولى « بيتهوفن » رعاية ابن أخيه . وأراد أن يخلصه من أثر أخلاق أمه فيه ، إذ كان غير راض عنهـا ، فطلب ضم الولد إليه ليتبناه تماما . ولـكن الأم رفضت ذلك وعارضت « بيتهوفن » فرفع الأمر إلى القضاء للفصل فيه .

و إذ كانت أسماء الأشراف فى ألمانيا تمتاز باضافة الحرف « فون » (von) بين الاسم واللقب . وكان « بيتهوفن » يضم بين اسمه ولقبه الحرف « فان » (van) فقد كان يعتبر شريفا .

و إذن فقد تقدمت قضية الفصل فى أمر ابن أخيه إلى المحـكمة الخاصة بالأشراف ، لا إلى المحـكمة العامة التى تنظر فى شئون الرعايا .

كان حكم المحـكمة فى صالح « بيتهوفن » ولـكن محامى الخصم قدم للمحكمة ما يثبت أن لفظ « فان » (van) حرف هولندى ليس فيـه مدلول الشرف ، ولا نسبته ، و إذن لا يكون « بيتهوفن » شريفـا ، وليس له حق التقدم إلى هذه المحـكمة ثم دفع بعدم اختصاصها .

كان على « بيتهوفن » أن يثبت أنه شريف ، فلما مثل أمام القضاء

وسئل عن ذلك ، أشار بأصبعه إلى رأسه وقلبه دلالة على أنهما موضع شرفه

لم تأخذ المحكمة بهذا الرأى طبعاً ، وحولت القضية إلى محكمة البلدية .

شعر « بيتهوفن » فى ذلك بإهانة كبرى لحقته ، وامتهان عظيم أصابه . هو لا يهتم بالألقاب ، إنما ساءه ألا يكون أهلا لأن تنظر قضاياه أمام محكمة الأشراف ، التى تفصل فى خلافات علية القوم .

اعتقد أنه قد أسىء إليه فى فنه ، وفى شخصه ، فصمم على مغادرة النمسا إطلاقا ، لولا مساع كبيرة بذلت من أصدقائه فى سبيل عدوله عن هذا العزم .

صدر حكم محكمة البلدية ضد « بيتهوفن » فاستردت الأم ولدها وضمته إليها . لم يرضخ « بيتهوفن » لهذا الحكم فاستأنفه إلى المحكمه العليا ، ذلك بأن «بيتهوفن » كان يرى من أقدس واجباته أن يقوم على تربية ابن أخيه وتهذيبه تربية وتهذيبا كاملين . وفى ذلك يقول :

« أريد وأسعى أن يربى الطفل أحسن تربية ممكنة وأتمنى أن أحقق ما كان أبوه ينتظره منى بصفة كونى شقيقاً له . . . إننى لا أرى واجبا مقدسا أسمى من القيام برعاية طفل ، والسهر على تربيته وتهذيبه ، وفى رأيى أن هذا هو أهم ناحية من نواحى الوصاية » .

وأصدرت المحكمة العليا حكما فاصلا لصالح « بيتهوفن» يقضى بإثبات الوصاية له ، وضم الطفل إليه ، وجاء الفصل فى تلك القضية بعد مضى ثلاثة أعوام كاملة كان الطفل فيها حائراً بين أمه وعمه .

وفى الحق إن « بيتهوفن » كان يحب ابن أخيه حبا أبويا صادقا فحاطه بعنايته ، وتولاه برعايته وقام على تهذيبه وتربيته خير ما يمكن أن يقوم به والد لولده .

وعنى بثقافته الموسيقية فأسند أمرها إلى « كارل شرنى Carl Czerny » أحد تلاميذه المقربين إليه فقام بإعطاء الطفل دروسا فى البيانو .

* * *

وفى نفس الشهر الذى توفى فيه « كارل » شقيق « بيتهوفن » توفى أيضاً صديقه ، ومواطنه الموسيقار «سالومون» الذى ذاع صيته فى العزف بالكمان ، والذى كان مقيما فى « لندن » وصحب هايدن فى رحلته إليها .

كان هذا الصديق يقوم بالدعاية لمؤلفات بيتهوفن فى لندن ويتولى نشرها والعمل على إذاعتها بها ، فلما توفى تولى هـــذا العمل بعده « ريس الصغير » تلميذ « بيتهوفن » وكان قد اتخذ « لندن » مقاما له .

وكما قام « ريس » فى لندن بخدمة مؤلفات « بيتهوفن » فكذلك قام صديقه « شرنى » فى فينا بنفس هذه الخدمة ، فقد كان من أمهر العازفين بالبيانو . أقام طوال ثلاثة فصول كاملة من فصول الشتاء المتوالية حفلات موسيقية يحييها فى مساء أيام الآحاد ، وقد خصصها لعزف مقطوعات « بيتهوفن » الخاصة بالبيانو . ولقد عرف الكثير من الفنانين الأجانب وغيرهم من المترددين على هذه الحفلات منها قيمة مؤلفات « بيتهوفن » وسمو نتاجه وكان الأمير « رودلف » الذى تكفل بإمداده براتبه السنوى

المخفض هو التلميذ الذى يقوم « بيتهوفن » بالتدريس له على آلة البيانو ، وعلم صوغ الألحان . وكان « بيتهوفن » يذهب لهذا الدرس مكرها ممتعضاً حتى كان يسميه « خدمة البلاط » ذلك بأنه كان لابد له عندما يذهب لإعطاء هذا الدرس أن يعنى بملابسه بعض العناية ، وهو ما كان يثقل عليه . وكذلك كانت نفسه تمج قيود التقاليد التى كان الأمين الأول لبلاط الأمير يتطلب من « بيتهوفن » مراعاتها . شكا « بيتهوفن » مسألته للأمير فأصدر أمره بإعفاء « بيتهوفن » من جميع هذه القيود .

وفى عام ١٨١٨ غادى بهذا الأمير مطرانا على مدينة « Olmütz » وحدد شهر مارس عام ١٨٢٠ موعدا للاحتفال به رسميا فى الكنيسة . وأراد « بيتهوفن » أن يعبر عن شعوره نحو تلميذه وأميره ، وعضده ونصيره ، موسيقاه ، فاعتزم أن يقدم له لمناسبة تقليده هذا المنصب الدينى السامى قطعة خالدة تؤدى فى هذا الاحتفال الدينى

كان القداس الدينى الذى سبق أن لحنه « بيتهوفن » بناء على طلب الأمير « استرهاسى » قداساً بسيطا عاديا . أما القداس الجديد الذى اعتزم صوغه ، فيريد أن يكون قداسا فخما ، من طراز آخر وابتداع جديد .

أكب « بيتهوفن » منذ عام ١٨١٨ على تأليف هذا القداس ، وكان سبب الإبطاء فى إنجازه اضطرار « بيتهوفن » إلى الاشتغال بتأليف موسيقية أخرى ، كان لزاما عليه التعجل فى إنجازها لتكون مورد رزق له

كذلك كان من أهم العوائق سوء حالته المنزلية فى ذلك الوقت ، فقد اضطربت أيما اضطراب حتى كتب إلى صديقه « زمسكال » يقول : « إننى

فى ظروف لابد أن أشرف معها على كل شىء . إنى رجل فقير بائس» .

وكان بيته فى عام ١٨١٩ والأعوام التالية كأنه الجحيم، كثير التبديل والتغيير فى خدمه ، والقائمين بشئون تدبيره . فى اضطراب شديد تنطق به مذكراته التى سنعرض لها فيما بعد ، كما تنطق عن عظيم بؤسه وشديد فقره حتى لقد كان يقضى الأيام والليالى خاويا لايجد مايأكله .

ذلك لأن تربية ابن أخيه كانت تستنفد الجزء الأوفر من ماله . على أنه كان يمتلك بعض الأسهم والسندات ولكنه أودعها البنك على ذمة ابن أخيه يرثها من بعده ، وشاء ألا يمسها مهما بلغت حاجته واشتدت فاقته .

ومن طرائف مايروى عنه وقتئذ أنه — وقد انتقل من مسكن إلى آخر — كان أول شىء بحث عنه فى مسكنه الجديد أوراق النوتة التى دون فيها ماأتمه من القداس الذى يعده لحفلة أميره المطران ، وكان حزنه شديدا وغضبه بالغا لما تبين فقد الجزء الأول منها بأكمله ، فلما استقر نظام المسكن الجديد وجد هذا الجزء الفاقد ، وكانت الخادم قد استعملته فى حزم حذائه عندالنقل ، ومن حسن الحظ أن أوراق هذا الجزء وجدت جميعا سليمة كاملة.

وروى عنه فى أثناء قيامه بتلحين الجزء الثالث من ذلك القداس (وهو المعروف باسم Credo) أنه كان غارقا فى تفكيره ، مشتت البال لدرجة لم يحس معها أثناء تجواله فى الخلاء بتقلبات الجو وا كفهراره ، وهطول الأمطار حتى عاد إلى البيت فى ساعة متأخرة جامد الجسم مبلل الثياب ، يتساقط منها الماء بغزارة فلما سألته خادمه عن قبعته لم يجد ما يقوله لها إلا أنه فقدها فى الطريق .

وفى عام ١٨٢٢ أتم هذا القداس الخالد ، قداس « Missa solémnis » فى « بادن » إحدى ضواحى « فينا » فكان من أروع ما أبدعته عبقريته ومن أخلد مقطوعاته إطلاقا ، فقد كان فتحا جديدا فى هذا النوع من التأليف الكنسى ، بل إن العالم لم ير منذ الموسيقار « باخ » و « شيرو بينى » نتاجا دينيا فخما مثل هذا القداس .

وقد يكون من عجائب الأقدار أن « بيتهوفن » لم يسمع فى حياته هذا القداس كاملا ، فقد كانت « فينا » تقتصر على أداء بعض أجزائه نظراً لما يتطلبه الأداء الكامل من الاستعداد العظيم . وكانت مدينة « سان بطرسبورج » عاصمة الروسيا أسبق مدينة فى أدائه كاملا فقد أدته عام ١٨٢٤

استمر الأمير « رودلف » تلميذا لبيتهوفن حتى بعد تنصيبه مطرانا ، فكان إذا انتقل من مقر وظيفته إلى فينا ليقضى فيها بضعة أسابيع تلقى على « بيتهوفن » درسين أو ثلاثة فى اليوم الواحد . وكذلك كان « بيتهوفن » يقوم بمراجعة وتصحيح ما يكون الأمير قد صاغه من الألحان الجديدة .

وعند ما أتم « بيتهوفن » هذا القداس الأخير عرضه على بلاط مختلف المقاطعات فى نظير خمسين دوكات (حوالى ٢٢,٥ جنيها) .

أخذ « لويس الثامن عشر » نسخة من هذا القداس فأهدى اليه نظيرها مدالية ذهبية كتب عليها « هبة من الملك للسيد بيتهوفن » .

أما الأمير « استرهاسى » فقد رد له القداس بالتالى . ولم يلق هذا القداس من بلاط جميع المقامات قبولا إلا من البلاط الفرنسى ، والبروسى والسكسونى ، والروسى . وقد سأل الوزير المفوض لبروسيا « بيتهوفن »

عما إذا كان يفضل أن يمنح فى القداس وساما أو الخمسين دوكات فكان رد « بيتهوفن » المختصر : « خمسين دوكات » .

أما بلاط « فينا » فلم يعن بالأمر ، ذلك بأن « بيتهوفن » لم يعن به فيقدم له شيئاً من نتاجه .

ولقد كتب « بيتهوفن » إلى صديقه الشاعر « جيتا » فى مدينة « فايمر » ليتوسط لدى بلاط هذه المدينة فى قبول ذلك القداس . فلم يفز برد مطلقا . ذلك بأن « جيتا » كان مستاء جد الاستياء من « بيتهوفن » لما حدث بينهما فى آخر مقابلة لهما ، فبينما كانا يتنزهان ، إذ بالغ الجمهور فى تحيتهما . ولما كان « جيتا » كثير الزهو والخيلاء ، فقد افتتن بهذا المنظر افتتانا لم يرق فى نظر « بيتهوفن » الذى رغب فى مضايقته فصارحه بقوله :

« أنت مخطىء إن ظننت أن هذه الاحترامات موجهة إليك ، إنها كلها لى » فكان ذلك سبباً فى تعكير مزاجه وشدة استيائه . وفى أوائل عام ١٨٢٣ تسلم « بيتهوفن » دبلوماً منحته إياه الأكاديمية الملكية بالسويد فضمت إلى ماعنده من مجموعة الأوسمة والشهادات التى منحت له ، وكذلك قرر كثير من الجمعيات الموسيقية وغير الموسيقية بفينا وخارج البلاد النمساوية جعله عضو شرف بها ، ولكن « بيتهوفن » كان لا يأبه لتلك الأوسمة والشهادات ، ولا يعبأ بتلك العضوية الشرفية متمنيا لو أن هذه كلها كانت منحاً مالية .

* * *

كان « بيتهوفن » فى أثناء انكبابه على تأليف هذا القداس الأخير ،

الذى يعده نهاية ماوصل اليه فى الفن ، مشغولا بتأليف جديد ، كبير ، هو «السنفونى التاسعة» تلك السنفونى التى تعتبر توأما للقداس ، وتعد أروع نتاج موسيقى أخرج للناس حتى الآن ، وأخلد الأعمال الموسيقية إطلاقا ، بلغ فيها «بيتهوفن» قمة المجد ، وسما فيها إلى ذروة الفن .

لقد أودع «بيتهوفن» موسيقاه الآلية فى هذه السنفونى كل مايريد التعبير عنه فى جلاء ووضوح . وموسيقى «بيتهوفن» فى تعبيرها الآلى أبلغ من الكلام . غير أنه شاء أن يضم اليها فى ختامها أنشودة غنائية إجماعية، فلحن قصيدة للشاعر الكبير «شللر» هى «إلى السعادة» ، تنطق موسيقاها بالسعادة حقا ، تلك السعادة التى لم يتمتع بها «بيتهوفن» بطريق الحواس البشرية إنما أحسها فى أعماق قلبه فأخرجها أنغاما ، وأرسلها ألحانا .

ولعل هذه السنفونى التاسعة أكثر نتاج استغرق «بيتهوفن» فى تأليفه وقتاً طويلا ، فإن بدء تلحين الجزء الأول منها يرجع إلى عام ١٨١٧ ، بل ويرجع اعتزامه تلحين قصيدة «إلى السعادة» إلى ماقبل ذلك بكثير ، ولم يتمه من إتمام هذه السنفونى إلا عام ١٨٢٣ بعد انتهائه من القداس ومن آخر قطع السوناتا التى ألفها .

وكان من عوامل التأخير فى إتمامها اشتغاله بتلك المؤلفات الأخرى، ثم تأخر حالته الصحية وكان قد ناهز الخمسين من العمر ، وذلك زيادة عما لاقاه من المشاكل والمضايقات فى سبيل قيامه على شئون ابن أخيه .

كذلك كان من عوامل سرعة إنجاز هذه السنفونى استعجال جمعية «الفيلهارمونى» بلندن له ، فقد طلبت إليه فى عام ١٨٢٢ سرعة إمدادها

باحدى سنفونياته الجديدة . ويكاد عام ١٨٢٣ يكون مقصوراً على هذا النتاج الخالد من أعمال « بيتهوفن »

* * *

ذاع صيت الموسيقار « روسيني » الايطالى ، وانتشرت أغانى أوبراه وغزت « فينا » منذ عام ١٨١٨ فصادفت قبولا عظيما من أهلها ، ونجاحا باهراً . وفى عام ١٨٢٢ حضر « روسيني » بنفسه إلى « فينا » وباشر إخراج أوبراه ، فسحرت ألحانها عقول الجماهير ، ووجدوا فى ثراء ألحانها حلاوة جذبتهم إلى هذا الموسيقار ورغبتهم فيه حتى أطلق عليه وقتئذ اسم الملحن المحبوب من أوربا .

كانت هذه عاصفة فنية جامحة ، أسدلت الستار على فن « بيتهوفن » فى « فينا » وأنست الشعب شخصيته .

لم يعبأ « بيتهوفن » بذلك ، ولم يتأثر منه أبداً لأنه كان الواثق من نفسه المتأكد من النصر لفنه ، ولو بعد حين . وقد عبر عن ذلك لصديقه الكاتب « فردريك روخلتز » عند زيارته لفينا وقتئذ بقوله :

« أنت لا تسمع شيئاً هنا من موسيقاى . وماذا تسمع منها ؟ « فيديليو » لا يستطيعون أداءها ، ولا سماعها . والسنفونيات ؟ ليس لديهم وقت لها . ومقطوعات البيانو ؟ لا حاجة لهم إليها ، إذ كل فرد يعزف ما يقوم هو بتأليفه » .

وقد حاول الموسيقار « روسيني » جهده فى أن يتصل ببيتهوفن ولكن « بيتهوفن » حال دون ذلك ، ووضع العراقيل فى سبيل هذا

الاتصال ، وقد أشار « روسيني » نفسه إلى ذلك فى رسالة بعث بها إلى صديقه « هنزليك » .

وفى عام ١٨٢٢ أيضاً أهدى الموسيقار « فرانس شوبرت » ، تصانيفه (الأربع أيد) للموسيقار العظيم « بيتهوفن » وقد نشرت وقتئذ وقام بتقديمها بنفسه وهو فى غاية الوجل والخجل .

وفى عام ١٨٢٣ حضر إلى « بيتهوفن » بفينا شاب بصحبة والده ، فاستقبله « بيتهوفن » بادئ الأمر استقبالا فاتراً ، فما استمع إلى عزفه بالبيانو أكبره وقبّله . ولم يكن هذا الشاب غير الموسيقار « فرانس لست » .

وفى نفس هذا العام تقدم إلى « بيتهوفن » الموسيقار الصغير « كارل ماريا فون ويبر » وكان ذلك فى يوم ٥ من أكتوبر سنة ١٨٢٣ .

ولقد أنجز « بيتهوفن » أثناء اشتغاله بالقداس الأخير والسنفونى التاسعة ، ثلاث مقطوعات من نوع السوناتا كانت آخر مؤلفاته من هذا النوع . بلغ فيها أيضاً ذروة الفن وسمت به إلى قمة المجد .

الفنان على ضوء تدوينه

« إنى أحمل أفكارى معى طويلا ، وغالباً طويلا جداً أتجوّل بها هنا وهناك ، قبل أن أدونها . وإن ذاكرتى لتظل فى ذلك مخلصة لى ، إننى لواثق من أن الفكرة الموسيقية ، التى ألهمتها مرة ، لا أنساها ولا بعد سنين . إننى أتناول فكرتى بالتبديل والتغيير . أتحول عنها إطلاقا أو أحورها حتى تصبح موضع الرضى . وهنا أبدأ تناولها فى دماغى بالتوسع أو التضييق ، انخفاضاً ، أو ارتفاعاً . وإذ أنى أعرف ما أريد ؛ وواثق من طريق ، فإن الفكرة لا تتركنى إطلاقاً ، إنما تسمو ، وتنضج ، أسمعها وأرى صورها بارزة ، كأنما هى قد صبت فى قالب ماثل أمام روحى . ولا يبقى إذن إلا عملية التدوين وهى تجرى سريعة إذا وجدت متسعاً من الوقت لها ، فإذا لم أجد انصرفت إلى تأليف آخر ، وهو وإن لازم العمل الأول فى الزمن فإنه لا يختلط معه بحال . وقد تتساءل من أين أستمد إلهامى ؟ ، قد لا أستطيع الإجابة على ذلك بالتدقيق ، ولكننى أقول إنه يأتى عفواً ، دون نداء ، بشكل واضح أكاد أمسكه بيدى ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، من الطبيعة الحرة ، فى الغابة ، أو التجوال ، فى سكون الليل ، أو الصباح الباكر ، تحفزنى فى ذلك قوة النظم الذى ألحنه ، والذى تتحول كلماته فى رأسى نغما ، يرن ثم يطن ثم يعصف حتى أراه مدونا أمامى » .

هكذا يصف « بيتهوفن » طريقة تأليفه ، وهذا الذى يصفه هو

ما كان يتبعه حقاً منذ حداثة سنه . كان يدون مسوداته فى كراسة النوتة أو فى أوراق متفرقة . لا يهتم فى ذلك لأى نوع من الورق يصادفه ، فقد تكون إحدى أوراقه الخاصة بتدبير المنزل ، أو صفحة خالية من أوراق التقويم السنوى ، أو ورقة ملقاة على المنضدة أو آلة البيانو سبق أن استحضر فيها شيئاً من الخارج .

لقد تجمع فى دور الكتب كثير من مثل هذه الأوراق المتفرقة ، وذلك إلى جانب أوراق منتظمة للنوتة مختلفة الأحجام وكراسات تضم مجموعة من الأوراق فى مختلف الأحجام أيضاً يصحبها معه فى جولاته فى الطبيعة الجميلة مطوية فى جيبه . فإن خطر له خاطر رأى تدوينه أسرع فى ذلك .

وهذه الأوراق الكثيرة المتفرقة ، والكراسات العديدة المتوافرة فى دور الكتب عسير على الإنسان أن يحل رموزها برغم انتشار طبعها .

تقدم أن «بيتهوفن» كان يقوم بتأليف عدة مقطوعات فى وقت واحد . وفى ذلك كتب إلى صديقه « فيجيلر Wegeler » فى رسالة فى ٢٩ من يونيه سنة ١٨٠٠ يقول :

« إنى أعيش فى مدوناتى الموسيقية ، ولا أكاد أنتهى من واحدة حتى أبدأ الأخرى ، وإنى وأنا أدون إحداها أفكر غالباً فى ثلاثة أو أربعة أشياء أخرى »

بل إن تلك الخاصية لتظهر جلية فى تدوينه ، فتراه وهو يدون قطعة معينة يترك فجاءه بضع صفحات لمقطوعة جديدة يملؤها فيما بعد ، فإن ضاق

بها المكان أتم تدوينها فى مكان آخر . وكان لا يثبت فى تدوينه على حال ، فكما كان يتناول الفكرة فى رأسه بالتبديل ، والتغيير ، والتحوير فكذلك كان الحال فى التدوين ، يتناوله بالشطب ، والتغيير .

ولئن قارنا بين المسودات التى تركها « باخ » و « موتسارت » و « هايدن » والمسودات التى خلفها « بيتهوفن » لوجدنا بينها فرقا كبيراً . فمسودات هؤلاء نظيفة لا تكاد تجد فى الصفحة بأكملها شطباً واحداً بل تراها منظمة ، منسجمة ، كأنما أعدت للطبع ، بينما مسودات « بيتهوفن » على العكس من ذلك تماما . وليس معنى هذا أن هؤلاء الأعلام كانوا فى إلهامهم أغزر مادة منه ، ولا أسرع إلهاما فمن المحقق أن عبقرية « بيتهوفن » الفذة تبزهم جميعاً . إنما سبب ذلك قوة هذه العبقرية ، فانه بينما كان الأولون يتبعون فى تآليفهم طريقاً مرسوماً ، ويخضعون لقواعد معينة موضوعة ، كان « بيتهوفن » لا يخضع لتركيب معين ولا نظام يتفق عليه العرف . إنما كان يشق طريقاً لنفسه ، وهو فى ذلك غزير المادة تتشعب أمامه عدة طرق يتخير منها ما يسلكه . وكثيراً ما يرى تغيير هذا الطريق فيتناول تدوينه بالشطب والتحوير .

وكان فى سرعة تدوينه لا يعبأ بحجم الكتابة ، فتارة تبتدىء صغيرة ثم ينتقل بها فجأة إلى حجم كبير ، وتارة تجدها بالقلم الرصاص الخفيف أعيد عليها فيما بعد بسن حاد ، وطوراً يكتبها بريشة رفيعة دقيقة فيكون التدوين دقيقا ثم ينتهى إلى استعمال ريشة سميكة فيكون التدوين غليظاً .
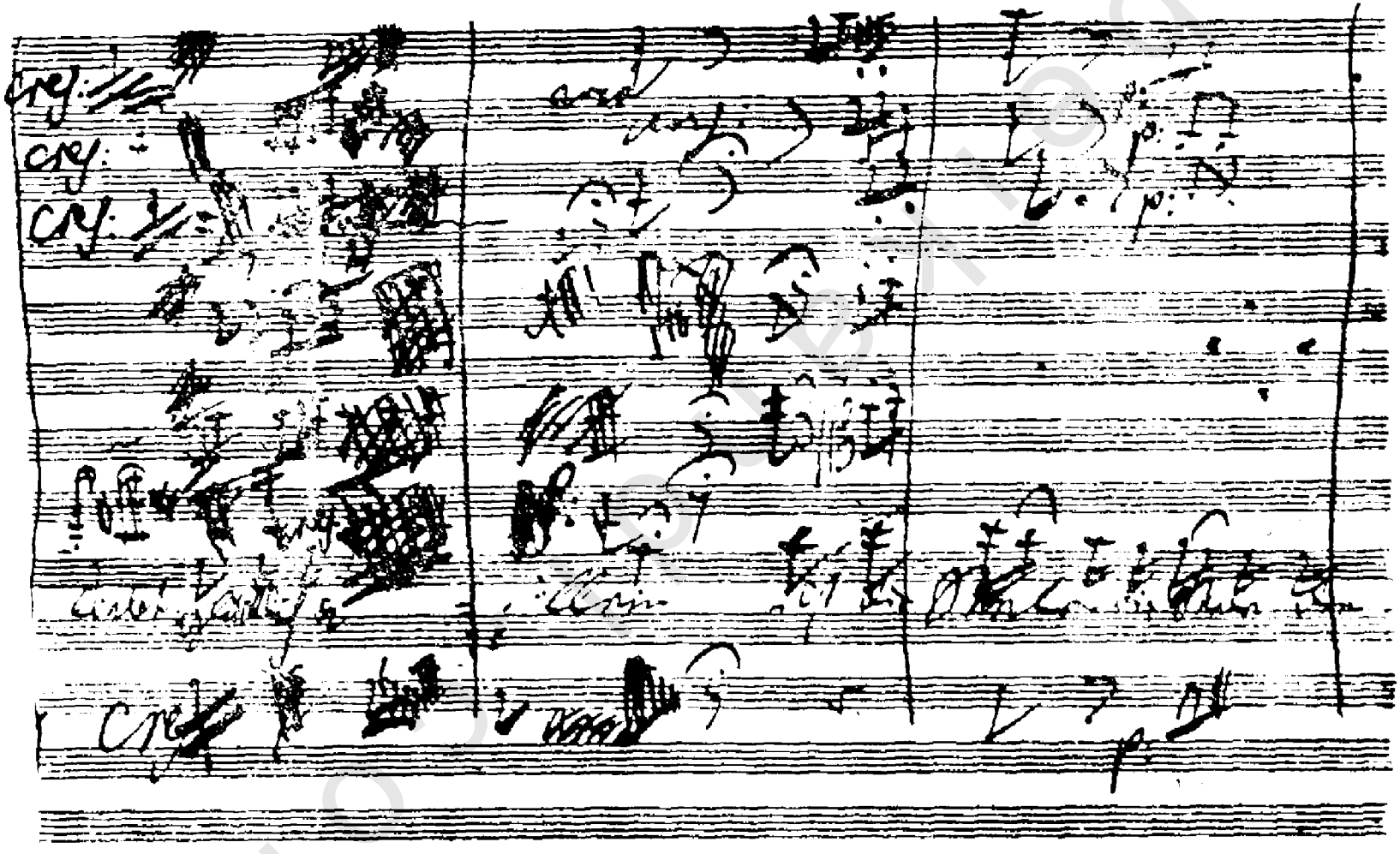
صفحة من تدوين بيتهوفن

وهو فى جميع هذه الحالات ليس لديه متسع من الوقت للتفكير فى أين يكتب ، وفيم يكتب ، ولم يكتب . إنما هو عبد مسخر لقوة إلهية مسلطة عليه ، ومسير بإلهام سماوى يهبط عليه فيقوده فى هذا الملكوت اللانهائى الذى يغترف منه هذا الثراء الفنى الرائع .

وفضلا عن هذه الاعتبارات كلها فقد كان « بيتهوفن » يعمد غالبا فى تدوين مسوداته الأولى إلى إبهامها ، وإلى أن تكون رموزاً يتعذر على غيره فهمها ، وذلك لتوافر سوء الظن بالناس عنده حتى كان لا يعزف ألحانه المبتكرة أمام غريب عنه ، أو جار له ، أو أية شخصية لا يثق فيها تمام الثقة .

أما كتابته غير الموسيقية وهى الكتابة الاعتيادية بحروف ألمانية أو لاتينية فكانت لا تقل فى اضطرابها وعدم استقرارها وقبح رسمها عن تدوينه الموسيقى لدرجة كان من العسير معها ، حتى على أقرب الناس إليه ، فك رموزها وتفهمها ، وهو فى كتابته هذه لا يسير أيضاً على وتيرة واحدة فكثيراً ما تتداخل الكلمات بعضها فى بعض ، وتارة تتسع فى غير انتظام وفى غير اعتدال . وقد يكون طريفا أن نورد هنا ما سجله هو على نفسه ، فقد كتب الى صديقه « نيقولاوس فون زمسكال Nikolaus von Zmeskall » فى ٩ أكتوبر سنة ١٨١٣ يقول :

« عزيزى ز . الطيب . أرجو ألا يضايقك رجائى أن تكتب العنوان (؟) على الظرف المرافق . وذلك لأن المرسل اليه يشكو دائماً عدم وصول خطابات منى اليه . ولقد ذهبت أمس الى مكتب البريد بخطاب

كتبته إليه فسألى موظفوه الى أين هذا الخطاب « ! ! ؟ » ويظهر أنى تعودت أن أستخلص من كتابتى ما لا يمكن أن تفصح عنه . ومن أجل هذا كان رجائى لك » .

المخلص

« بيتهوفن »

وإذ كان صمم « بيتهوفن » يتزايد من عام الى عام ، فقد أصبح من العسير عليه منذ عام ١٨١٨ التفاهم مع أهله وأصدقائه وزائريه إلا كتابة ، ومن أجل ذلك كان يستصحب معه دائما كراسة يطلق عليها « كراسة المحادثة » . ولقد خلف كثيراً من هذه الكراسات حتى أن دار الكتب الحكومية ببرلين تحتفظ وحدها بمائة وسبعة وثلاثين كراسة منها تبتدىء من عام ١٨١٩ وتنتهى بآخر أيام حياته .

وهذه الكراسات تصور الشيء الكثير من حياته والمشاق التى لاقاها فى معيشته وتدبير منزله . بل إنها لتلقى ضوءا على هذه الآلام العميقة التى كان يقاسيها هذ الفنان البائس ، وتخبر فى جلاء عن الأيام الحلوة والأيام التعسة التى لاقاها ، كما تنبىء عن حالته الصحية .

ولقد بلغ به سوء الظن بخدمه ، والقائمين على تدبير منزله أن كان يعتقد فيهم أنهم يخدعونه بسبب صممه ، ويغشّونه فيما يشترونه من حاج المنزل ، حتى اضطر لتدوين حركة المنزل فى مفكرات منزلية خاصة به

ومن الآثار المحفوظة لبيتهوفن فى دار الكتب ببرلين تقاويم سنوية لثلاث سنين هى ١٨١٩ — ١٨٢٠ — ١٨٢٣ وترى فى التقويم صفحتين متقابلتين : يسراها توضح الأيام والشهور ، ويمناها بيضاء لتدوين المفكرات

والملاحظات . وهذه خاصة بالمنزل وليست مفكرات جيبه . وقد دوّن «بيتهوفن» فيها كثيرا من التزاماته للغير ، وأحواله المنزلية بما يجلى عن اضطراب شديد ، وضائقة مستحكمة .

ويكفى أن نستعرض فيما يلى بعض مفكراته اليومية فى تقويم ١٨٢٠ لمعرفة مدى اضطراب حياته المنزلية ومعيشته اليومية :

فى ١٧ أبريل طردت الطباخة .

فى ١٩ منه يوم سىء .

فى ١٦ مايو تسلمت الطباخة الجديدة عملها .

فى ٢٩ منه طردت الطباخة .

فى ٣٠ منه تسلمت الخادمة أعمالها .

فى يوم أول يوليه تسلمت الطباخة الجديدة أعمالها .

فى ٢٨ منه طردت الطباخة .

فى ٣٠ منه تسلمت الخادمة أعمالها (لم يدون متى طردت سابقتها)

وقد كانت مفكراته فى عام ١٨٢٣ أشد اضطراباً وأكثر سوءاً من سابقتها حتى إنه ليستبدل خادمه وطباخته فى شهر واحد أكثر من مرة .

ولقد ضاق الفنان البائس ذرعاً بهذه الحال حتى انه كتب فى مفكرته يوم ١٥ أكتوبر مايأتى : « فى ٢٥ أكتوبر طردت الخادم القديم » بحروف ضخمة بلغ طول بعضها مايقرب من الخمسة سنتيمترات بما يدل على شديد غيظه وعظيم حنقه .

ثم هو يدون فى هذه المفكرات أيام بؤسة ، فيكتب أمام أحدها

« روح شرير » وأمام يوم ثان « يوم سيء آخر » . ولعل ذلك العام هو أسوأ أعوام حياته إطلاقا ، فقد ضاق به الحال حتى تضاعف دينه ، وطالبه دائنوه ، وضيقوا عليه الخناق وهددوه برفع الأمر للقضاء . ورفض أخوه « يوهان » أن يضمنه لدى أولئك الدائنين .

وقد أثبت فى مفكرته المنزلية أمام شهر يونيه من عام ١٨٢٣ ما يأتى حرفياً :

Vom 1. bis 6 ten Jun. schändliche Zeit nichts zu essen

وترجمتها ما يأتى :

« المدة من أول يونيه لغاية ٦ منه وقت عصيب . لاشيء مطلقاً للأكل » .

ولا عجب فى أن نراه بعد ذلك بشهر واحد يشكو حالة معدته المضطربة فيكتب :

« أشعر بسوء حالتى الصحية ، وأصابنى اليوم إسهال وتحت هذه الظروف يمكن أن أصاب بكل شيء » .

وفى إحدى صفحات مفكراته وردت أرقام فى نهايتها ، هى مقدار ما عليه من الدين للنساخ « شليمر Schlemmer » وقدره ١٦٥ جولدن (حوالى أربعة عشر جنيها) .

النهاية

كان صمم « بيتهوفن » لغزا من ألغاز الطبيعة لكن إرادة هذا الموسيقار الجبار كانت تغالبه ، وتنفث من قوتها فى أعصاب السمع الميتة مايبعث فيها حدة وقوة وحياة . وإذا كان عام ١٨١٤ يعد آخر عهده بالظهور فى الحفلات العامة عازفاً بالبيانو ، فقد كان فى عام ١٨٢٢ يعزف به لجماعة خاصة عزفا لايزال رائعاً عجيباً .

فى خريف عام ١٨٢٣ أعيد تمثيل أوبرا « فيديليو » ورغب مدير المسرح أن يتولى « بيتهوفن » بنفسه قيادة الفرقة . ولكنه ما كاد يتولى التجربة الأولى حتى ظهر عدم صلاحيته ، إذ كان يبطىء فى الإيقاع أحيانا ويسرع أخرى لعدم استطاعته سماع العزف مما سبب اضطراب الفرقة وعدم انسجامها فى التوقيع . ولكن برغم ذلك لم يجسر أحد من أعضائها ، ولا من الحاضرين إطلاقا أن يصارحه هذه الحقيقة المرة ، فسكتوا جميعا ، ولكن على مضض ، تنطق وجوههم بما هم فيه من حرج الموقف . رأى « بيتهوفن » وجوم هذه الوجوه ، ولكنه لم يدرك علته ، فقدم كراسة محادثته إلى صديقه « شندلر » الذى كان يصحبه فى هذه التجربة ليوضح له الأمر ، ويذكر له علة هذا الوجوم ، فكتب له « شندلر » فى إيجاز :

« لم يعد يستقيم الأمر » .

أدرك « بيتهوفن » مغزى هذه الجملة القصيرة ، فألقى بعصا الرياسة وترك الفرقة فى صمت عميق . ويستطيع المرء أن يتصور مدى وقع ذلك

فى نفس هذا الموسيقار العظيم ، و إلى أى حد بلغ تأثر الحاضرين ، وكلهم من زملائه وأصدقائه .

على أن هذا الحادث المؤلم لم يفت فى عضد « بيتهوفن » لدرجة اليأس بل التجأ إلى الطب مرة أخرى لعله يجد فيه عوناً على تخفيف مصابه ، حتى ليرى فيما بعد يحاول قيادة فرقته الموسيقية فى حفل عام .

وقد يكون من سخرية القدر ، أن يتقدم إليه فى ذلك الوقت كل من مدير أوبرا « فينا » والمدير العام لأوبرا برلين يطلب تلحين أوبرا جديدة مع الإلحاح عليه فى سرعة إنجازها . اندفع « بيتهوفن » أولا إلى تلبية الطلب حتى لقد اختار الرواية ، وهى : « ميلوسينا » من « جريلبارسر » أكبر شعراء النمسا وقتئذ ، ولكنه تذكر ما لاقاه فى سبيل « فيديليو » من العنت والعسف ، وأزعجه مصيرها ، فانثنى عن عزمه ، وارتد عن تحقيق ماطلب منه

كان « بيتهوفن » فى صممه عجيبا ، وفى موسيقيته أعجب . كان يعيش فى عزلة ووحشة ، فإن اجتمع بالناس تراه والصخب والضجيج من حوله صامتاً ، هادئاً ، ساكنا . وهو فى هذا الصمت ، وذلك الهدوء والسكون يخلق فى أعماق نفسه دنيا يعيش فيها وحده ، مأهولة بالناس ، ملأى بالذكريات الحلوة ، والسعادة . تلك هى الدنيا التى كان يستمد منها موسيقاه ، ويغترف من بحرها روائع فنه .

إطرد غزو موسيقى « روسينى » لفينا وأهلها ، وافتتن الناس بها ، وسحرتهم بساطة ألحانها ، وحلاوة نغمها . فعز ذلك على الطائفة ذات الثقافة الموسيقية الراقية ، وشق عليها أن ترى النصر الفنى تتوج به هامة موسيقار أجنبى بغير استحقاق ، وفى أرض عاش فوقها ، وكافح فيها فى سبيل نصرة

الفن الألمانى « جلوك » ، و « هايدن » ، و « موتسارت » ولا يزال يمشى فوقها ، ويتنفس هواءها أكبر موسيقار فى العالم وهو « بيتهوفن » الذى عز عليهم كذلك أن يروه وقد اعتزل العالم وانقطع ، واشتركوا معاً برياسة الأمير « لشنوفسكى » فى توجيه نداء كتابى إلى « بيتهوفن » يرجونه فيه ترك عزلته وظهوره بينهم وعدم حرمانهم سماع مؤلفاته الجديدة واعتزموا إقامة حفل فخم كبير ، تكريما « لبيتهوفن » ونتاجه .

لم يخب ظن أصدقاء « بيتهوفن » فيما وجهوه إليه من النداء فقد لباه ونزل على إرادتهم .

وفى ٧ مايو سنة ١٨٢٤ أقيم هذا الحفل الفخم فى أحد المسارح الكبرى «بفينا» وازدحم المكان بالجمهور حتى لم يعد فيه مكان لقدم .

عزفت فى هذه الليلة السنفونى التاسعة لأول مرة . وكان « بيتهوفن » يتولى الإشراف العام على تلك الفرقة بينما يقف خلفه الموسيقار «أوملاوف Umlauf» يدير الفرقة فعلا ، وكان وجههما كالمتبع نحو الفرقة وظهرهما نحو الجمهور .

تأثر الحاضرون بأنغام الموسيقى ، تلك الموسيقى التى لم يسمعوا مثلها من قبل ، تأثراً بلغ غايته . وما كادوا يسمعون ختام هذه السنفونى الفخمة العجيبة ، حتى ضجوا كالبحر الزاخر مصفقين مهللين إعجابا بهذا الإعجاز الفنى النادر . طال ضجيجهم وتهليلهم وترديدهم اسم « بيتهوفن ... بيتهوفن» ولكن عبثاً كان هذا الضجيج ، والتهليل ، والنداء ، فإن الموسيقار الأصم البائس لم يحس شيئاً إطلاقا من كل هذا الذى كان يجرى خلف ظهره من مظاهر تكريمه ، والإعجاب به . وهنا قامت المغنية « أونجر »

وكانت قد اشتركت مع زميلتها « هنريت سونتاج » فى أداء الغناء فى تلك السنفونى فأقبلت على « بيتهوفن » وقبّلته وأمسكت بذراعيه فأدارت وجهه للجمهور فرأى بعينيه ما أخفته عنه أذناه :

ضجيج الجمهور ، وتهليله ، وتصفيقه ، وإشاراته بالمناديل . وجوه تطفح بالبشر وعيون تنطق بالتأثر والفرح ، الجميع فى سعادة كاملة نقلتهم هذه السنفونى إليها . تلك السنفونى التى تنتهى بلحن « إلى السعادة » . عندئذ انحنى « بيتهوفن » يحيى الجمهور ويتشكر له .

كانت لحظة مؤلمة ، امتزج فيها شعور الإعجاب بالموسيقار ، بالحزن العميق لعظم مصابه ، وفترة مريرة أحس فيها الجمهور بالسعادة التى نقلهم إليها هذا الفنان البائس المحروم من جميع متع الحياة .

وعجيب أن يستغل هذا الموسيقار البائس حتى فى هذه الحفلة التى أقيمت من أجله ، والتى تجلى فيها مشاطرة الجميع له فى مصابه وإشفاقهم عليه . فقد بلغ دخل هذه الحفلة ٢٢٢٠ جولدن وهو ما يقرب من المائتى جنيه أبت إدارة المسرح إلا أن تحتجز لنفسها منه ألف جولدن كاملة وأن تصرف للقائمين على نسخ موسيقى هذه السنفونى ثمانمائة جولدن فكان كل ما تبقى للفنان المسكين هو ٤٢٠ جولدن (حوالى ٣٥ جنيها) .

منذ ذلك اليوم تبين « بيتهوفن » أن أهل « فينا » عامة قد كشفوا سره ، ووقفوا على مصيبته فى سمعه ، وصممه الكامل ، فتمت عزلته عن جميع الناس ، وانحبست أخباره عنهم إطلاقا ، واتجه بكليته إلى العناية بابن أخيه الذى يرى فيه السلالة الوحيدة للعائلة ، وكان « كارل » ابن

أخيه قد بلغ السابعة عشرة من عمره . وإذ كان قد انتهى من المعهد الذى كان ينتسب إليه فقد ألحقه عمه بدراسة فلسفية بالجامعة ، ولكنه كان شاباً مستهتراً ، أهمل دراسة الجامعة فشطب اسمه منها ، ثم رغب فى أن يلتحق بمدرسة الهندسة فحقق له عمه أمنيته ، ولكنه تابع سيره المعوج وبالغ فى عيشته الماجنة حتى خرج على عمه . رغم ذلك كله كان دائماً موضع عطف عمه ، وحنانه حتى لقد كتب إليه يقول :

« أى بنى !، تعال إلى أحضانى ، ان تسمع كلة واحدة جافة منى ، إنما سنتحادث فى شئون مستقبلك ، وسنتشاور فى الأمر معاً ، . . . . إننى أضمك إلى أحضانى ، وأقبلك ألف مره .

يا بنى ، لست بالابن المفقود ، إنما أنت المولود من جديد ، وسأظل لك الوالد الذى يرعاك ، ويعولك دائماً » .

وجاء فى رسالة أخرى وجهها له فى ذلك الحين قوله :

« تعال يا بنى ، ولا تدع قلبى المسكين يظل دامياً »

وفى أغسطس سنة ١٨٢٦ حاول « كارل » الانتحار . ولما كان القانون آنئذ يحكم على من يقدم على مثل هذه الفعلة الشنعاء بضعف إيمانه الدينى فقد كان لزاماً عليه أن يحبس فى جهة معينة حيث تضرب عليه رقابة دينية شديدة .

كان مؤلما « لبيتهوفن » أن يرى ابن أخيه ، وهو شديد المحبة له يتردى إلى مثل هذه الهاوية ، و يؤول أمره إلى مثل هذه النتيجة وهو موضع أمله ومحل رجائه .

عاد « كارل » إلى عمه فدعاها « يوهان » شقيق « بيتهوفن »

لزيارته فى ضيعته فلبيا النداء ، وهناك لاقى « بيتهوفن » أقسى المعاملة وأمرّها ، لا من شقيقه فحسب ، بل ومن ابن أخيه أيضاً ، فاستصحبه وعادا معاً إلى « فينا » وكان ذلك فى اليوم الأول من شهر ديسمبر .

وكان الجو بارداً ، والطقس متغيراً ، و بالرغم من ذلك فقد أبى « يوهان » أن يقدم لشقيقه سيارته المقفلة ، فاضطر لركوب سيارة مفتوحة أقلته إلى « فينا » فى هذا البرد القارس والجو الردىء . وقد تخلف للمبيت أثناء الطريق بمطعم حقير فوصل إلى « فينا » فى اليوم التالى وقد أصيب برعدة يبست معها مفاصله وتجمد الدم فى عروقه .

ما كاد « بيتهوفن » يصل إلى « فينا » حتى شعر بالمرض يدب فى أوصاله . لقد أصيب المسكين « بالتهاب رئوى » .

وأرسل فى طلب طبيبيه « براونهوفر » و « شتاودنهايم » ولكنهما أغفلاه ولم يلبيا طلبه .

طلب الموسيقار إلى ابن أخيه أن يسعفه بأى طبيب فخرج « كارل » المستهتر ، ولكنه بدلا من أن يسارع إلى استدعاء الطبيب قصد إلى أحد المطاعم وأخذ فى لعب البلياردو .

ولما تذكر فى أثناء لعبه مهمته كلف أحد خدم المطعم ليقوم بالنيابة عنه فى أدائها .

أما الخادم فقد نسى ذلك أيضاً ، إلا أنه هو نفسه أصيب بمرض استدعى نقله للمستشفى ، و بعد أن مرض بضع أيام فيه تذكر المهمة التى كان قد كلف بها فأعلنها لطبيب المستشفى ، « البروفسير بافروخ »

فبادر إلى زيارة المريض البائس ، ولـكن بعد فوات الوقت ، فلقد سبب هذا الإهمال وفرة الاستسقاء فى جسمه حتى لقد أجريت له فى المدة من ١٨ ديسمبر إلى ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٧ أربع عمليات لتصفية الماء . وكان المريض فى هذا الوقت العصيب حلو الفكاهة ، لم تتركه المداعبة حتى فى أثناء إجراء العملية فقال يداعب طبيبه :

« لئن كانت البطن مائية أحب إلىّ من أن يـكون نتاجى مائياً » .

وفى آخر شهر يناير عنى بأمره طبيبه الدكتور « مالفاتى » فرعاه مع زميله « البروفسير بافروخ » .

أصبح « بيتهوفن » بعد هذه العمليات المتوالية ضعيفاً غاية فى الضعف مفتقراً غاية الفقر إلى إمداده بالأدوية المقوية . ومن أين يمـكن للمسكين أن يستمد هذا العون ، وقد طال به المرض فعاقه عن التـكسب ؟ قد يكون شقيقه أقرب الناس إليه . وهنا تتجلى أريحيته وعاطفة الشفقة فيه عند ما وصف الأطباء للمريض استعمال حمامات من بخار الحشيش الجاف فأبى « يوهان » صاحب الضيعة « ! » أن يسعف شقيقه بهذا الـكلأ الجاف ، بحجة أن ما يملـكه منه نوع ردىء ! .

لم يجد المريض البائس بداً من أن يلتجىء فى مرضه الى طلب العون من غير أخيه ، بل ومن غير بلاده فالتجأ الى جمعية « الفيلهارمونى » بلندن فأرسلت إليه مائة جنيه ووعدته بإمداده بمبالغ أخرى .

وفى منتصف مارس أسرع الموسيقار « هوميل » وقد أصبح مديراً للفرقة الموسيقية فى مدينة « فايمار » الى زيارة « بيتهوفن » وقـد سمع

عرضه فتلاشى ما كان يحمله له فى قلبه من حقد و بغضاء وأقبل عليه يواسيه وقد انهمر الدمع من عينيه عند رؤيته .

أما « بيتهوفن » فقد أخذ يسرّى عنه وعرض عليه التأمل فى مدالية نحاسية حفرت فيها صورة البيت الذى ولد به « هايدن » فى « روراو » وقال : « أنظر ياعزيزى « هوميل » ، هذا هو البيت الذى ولد فيه « هايدن » لقد قدمت لى اليوم هذه المداليـة هدية ، وإننى ليسعدنى أن أرى هذا الكوخ الريفى الحقير يولد فيه رجل عظيم كهذا » .

كذلك بادر إلى زيارته صديقه « هيتنبرّ » فحضر إليه من مدينة « جراتس » ولازمه حتى وافته منيته . وقد تحدث عن ذلك فقال :

« عدته فى ٢٤ من مارس فوجدت ملامح وجهه قد تغيرت تغيراً كلياً ، وكان فى شدة الضعف ، فلم يقو بعد جهد كبير إلا أن يلفظ بكلمتين أو ثلاث ، ثم حضر « البروفسير بافروخ » وأنبأ أن الموسيقار يخطو نحو الموت بخطى سريعة.

استدعى من رجال الدين من يقومون بالطقوس اللازمة قبيل الوفاة . فلما انصرفوا بعد فراغهم من مهمتهم التفت « بيتهوفن » إلى من حوله وقد استجمع كل قواه وقال : « أيها الأصدقاء ! انتهت الكوميديا » .

وفى مساء ذلك اليوم أصيب بحمى شديدة جعلته يهذى ولازمته حتى مساء اليوم التالى ، وقد دخل المريض فى دور الاحتضار فبدأ كفاح هذه الشخصية الجبارة بين الموت والحياة ، أربعة وعشرين ساعة كاملة ينتزع فيها أنفاسه الأخيرة ، حتى قضى نحبه فى الساعة السادسة إلا ربعاً من مساء ٢٦ مارس سنة ١٨٢٧

هبت على « فينا » عاصفة شديدة وتلبد الجو وغطت السماء سحب كثيفة سوداء ، ولمع البرق ، وقصف الرعد ، فكانت الطبيعة بظواهرها مجتمعة كأنها تشاطر ولدها البار العبقرى — الذى كانت هى أحب شىء لديه — آخر نزعاته وتقف إلى جانبه فى نهاية أنفاسه .

ولما عاد صديقاه « ستيفان فون برونينج » و « شندلر » من الخارج بعد أن أعداله المقبرة تلقاهما « هيتنبرنر » بقوله : « لقد حم القضاء »

مات بيتهوفن فى بيت يدعى «شوار تسپانير » حيث ترى مدونا الآن على وجهته : « البيت الذى توفى فيه بيتهوفن فى ٢٦ مارس عام ١٨٢٧ » .

كان الاحتفال بتشييع جثة « بيتهوفن » مهيبا ، فقد شيعت إلى مقرها الأخير بعد ظهر يوم ٢٩ من مارس يشترك فى تشييعها ما يربى على العشرين ألف نفس .ووضع «فرانس جريلبارسر» أكبر شعراء النمسا كلمة التأبين التى قام بإلقائها «أنشوتس Anschütz » الممثل بالبلاط فخاطب جماعة المشيعين بقوله : «إنكم لم تفقدوه ، بل كسبتموه ، لقد كان فرضا أن يموت ليدخل ساحة الخلود . يجب أن ينهار الجسم أولا حتى تنفتح أبواب تلك الساحة . إن هذا الذى تحزنون لفقده ، هو منذ الآن يحلق فى سماء الخلود ولن يسمو إلى عظمته أحد فى جميع العصور ... »

وفى ٣ أبريل أقيم له حفل حداد دينى فى الكنيسة ألق فيه قداس الحداد الذى ألفه « موتسارت » قبيل موته .

***

ستة وثلاثون عاما مضت على وفاة البطل العظيم « بيتهوفن » تقرر

بعدها فتح مقبرته لحفظ الباقى من رفاته . ففتح القبر فى يوم ١٣ أكتوبر عام ١٨٦٣ حيث وضعت الرفات فى تابوت خاص متين .

فلما أعدت مدينة «فينا» بعد ذلك مدفنا خاصا لعظماء رجالها الموسيقيين فتح القبر ثانياً فى يوم ٢٢ يونيه سنة ١٨٨٨ واستخرج التابوت وقد أحكم إغلاقه بثلاثة أقفال من الذهب الخالص ، قدم أحدها محافظ المدينة ، وقدم الآخرين جمعية أصدقاء الموسيقى بفينا . وضع التابوت فى عربة فخمة من الزجاج وانتقل إلى مثواه الأخير يمشى خلف العربة أقارب الفقيد من أحفاد ابن أخيه « كارل » ويشترك فى هذا الحفل المهيب مالا يحصى من الجموع . وقد سارت فيه جميع معاهد الموسيقى بفينا ، وأرسلت البلاد الأخرى مندوبيها وممثليها .

دفن التابوت فى مقبرة فخمة أقيمت عليها مسلة من المرمر مزخرفة مدون عليها اسم «بيتهوفن» وإلى جانبه أقيمت حجرة لمقبرة «موتسارت» وإلى جانبهما « شوبرت » .

أما تكريمه بإقامة التماثيل له ، فقد كان السابق إلى ذلك مدينة «بون» مسقط رأسه حيث أقامت له فى عام ١٨٤٥ تمثالا يمثله واقفا بمعطفه ، وفى يده قرطاس وقلم .

أما «فينا» فقد أقامت له عام ١٨٨٨ تمثالا فخماً فى ميدان من أكبر ميادينها أسمته « ميدان بيتهوفن » .

إحفظ لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثان

كلمات عن بيتهوفن

• تعتبر موسيقى بيتهوفن ، لنا نحن الموسيقيين ، كعمود الدخان والنار الذى كان يرشد بنى إسرائيل فى الصحراء . عمود من الدخان يرشدنا فى النهار ، وعمود من النار يرشدنا فى الليل لنخطو فى الفن خطوات مطردة ليلا ونهاراً . فهو فى ظلمته وفى نوره هاد إلى الطريق الذى ينبغى أن نسلكه ، والذى ينبغى أن نتخذه قائداً أعظم لأنه لا يخطىء .

(لست)

• من السخف المزرى أن نقارن بين بيتهوفن وغيره من أعلام الموسيقى إذن نكون كمن يحاول مقارنة الجدول بالمحيط الخضم . (ريشتر)

• إذا تكلم المرء عن السنفونى فانما يعنى بيتهوفن (شومان)

• لقد أودع بيتهوفن فى ألحانه تاريخ الموسيقى فى العالم . (فاجنار)

• إن اسم بيتهوفن مقدس فى عالم الفن . (لست)

• بيتهوفن شخصية حرة طليقة من كل قيد . (جيتا)

• بيتهوفن هو الشخص الذى يفيض على الملايين بالسعادة الكاملة ، السعادة الروحية المطلقة . (فردريك روخلتز)

• إن الطريقة التى كان يفسر بها بيتهوفن الأشياء ، والكيفية التى كان يعبر بها عنها كانت فى جميع حياته بسيطة موجزة وفى الصميم .
(أنطون شندلر)

• لا تستطيع الدنيا أن تلد غير بيتهوفن واحد . (شومان)

• « بيتهوفن » ! ! ماذا تحمل هذه الكلمة فى طياتها ! ! إن فى مقاطع هذ اللفظ لرنينا موسيقياً أبديا . وإن المرء ليحس كأن ليس هناك اسم آخر يصلح لهذه الشخصية . (شومان)

• إنى أعتقد فى الله ، ثم فى موتسارت و بيتهوفن (فاجنار)

• جلوك ، موتسارت ، فاجنار هم الثالوث الفنى المقدس . وقد تركزوا جميعا فى شخص واحد هو بيتهوفن . (هوجو ولف)

• لئن فاخرت انجلترا بشاعرها شكسبير ، وباهت فرنسا ببطلها نابليون وتطاولت ايطاليا بكاتبها دانتى ، لقد تتضاءل بطولة هؤلاء جميعا أمام بطولة بيتهوفن . (فكتور هوجو)

كلمات لبيتهوفن

• أنى أوافق فولتير على أن لذعة البعوضة لا يمكن أن تعوق جواداً مقداما عن سيره .

• إن مملكتى فى الهواء ، وكما تتموج الأصوات فيه فإنهـا تتموج فى النفس .

• الموسيقى وحى أعظم وأرفع من وحى العلوم والفلسفة ، وهى رحيق ينعشنا ويؤهلنا لجديد الابتداع ، بل هى الحياة الخيالية منضمة إلى الحياة المادية . وهى الموصل الوحيد إلى العالم الأعلى ، عالم المعرفة الذى يشعر به الإنسان ولا يستطيع ولوجه . وبها ندرك العالم الإلهى الكامل .

• من يكون مبدؤه فى الحياة الشرف والخير يستطيع أن يتحمل فى سبيلهما المكاره .

• ما أشد ألمى لهذه الحال التى تمنعنى من سماع ألحانى .

• لو كنت أجيد فنون الحرب إجادتى فنون الموسيقى لكان انهزام نابليون على يدى .

• الجديد المبتكر هو ما يأتى عفواً دون أن يفكر فيه الإنسان .

• بيتهوفن لا يقـــاد ولا يمالىء غيره وهو يحتقر كل شىء لا يخضع لفنه وعمله .

• ليس لك أيها البائس بيتهوفن أن تطمع فى أى حظ يأتيك من العـــالم الخارجى ، وعليك أن تخلق كل شىء لنفسك ، ولن تجد لك أصدقاء إلا فى العالم الروحى .

• لا فائدة من المترونوم فصاحب الإحساس الحقيقى لا يحتاج إليه ، ومن حرم هذا الإحساس لا يجديه شىء .

• همّ الموسيقى أن تذكى السعير فى أرواح سامعيها . أما النشوة فمن خصائص الخليعات من النساء .

• « الحرية » و « الانطلاق » يجب أن يكونا أساس الموسيقى ، أنهما أساس كل إنتاج فنى .

للمؤلف

١ — الكوميدى الحديث : المجموعة الأولى من أزجاله المسرحية : طبع القاهرة سنة ١٩١٧ .

٢ — أشهر مشاهير الموسيقى الغربية : طبع برلين سنة ١٩٢٣ .

٣ — رسالة الكندى فى خبر تأليف الألحان : طبع ليبزج ١٩٣١ .

٤ — ابن سينا وتصانيفه الموسيقية : طبع برلين سنة ١٩٣١ .

٥ — دراسة القانون : طبع القاهرة سنة ١٩٣٤ .

٦ — موسيقى قدماء المصريين : طبع القاهرة سنة ١٩٣٦ .

٧ — صور التاريخ الموسيقى : طبع مصلحة المساحة بالقاهرة سنة ١٩٣٧ .

٨ — الموسيقى النظرية : الطبعة الأولى ١٩٣٨ الطبعة الثانية ١٩٣٩ طبع القاهرة

٩ — موتسارت (قصة الطفل المعجز والموسيقى العبقرى) : طبع القاهرة سنة ١٩٣٩ .

١٠ — المجلة الموسيقية (١٣٧ عدداً) : طبع القاهرة سنة ١٩٣٦ — ١٩٤١ .

١١ — الموسيقى فى كلمات : طبع القاهرة سنة ١٩٤٣ .

١٢ — بيتهوفن : طبع القاهرة سنة ١٩٤٤ .

obeikandl.com